مطبوعات حديثة

كتاب الدولة الاموية في الشام

« للسيد انيس زكريا النصولي طُبع في مطبعة دار السلام ببغداد »

« عدد صفحاته ٣٥٦ »

يكاد لا يوجد مؤرخ عربي دوّن شيئاً من وقائع صدر الاسلام والفتوح الشامي الا اتى ببحث مستفيض عن تاريخ الدولة الأموية التي أسسها معاوية على اثر تغلبه واستئثاره بالخلافة منذ تواطأ مع عمرو بن العاص على مطالبة الامام علي (ع) بتسليم قتلة عثمان الخليفة الثالث الى ان كان التحكيم المشؤوم وما تلاه من قتل علي وتنازل الحسن ثم قتل الحسين فعبدالله بن الزبير (رضهم) بحيث أصبحت المكتبة العربية طافحة باخبار الأمويين والمروانيين جليلها وحقيرها فلم تترك حاجة لمستزيد .

بيد ان الاستاذ النصولي قد امتاز عن سواه بتحليل اسباب الشحناء ووصف شخصيات الزعماء والحكم على أخلاق كل من ناوأ معاوية وأعقابه من آل البيت والصحب الكرام مع بيان وجوه التفاضل بين اولئك الأقطاب سالكاً في ذلك كله مسلك المتأخرين من الكتبة الذين لا يكتفون بسرد الوقائع بلا تمحيص ولا استقراء بل يتبعونها بما اوحى لهم اجتهادهم من الأحكام على مميزات ابطال الوقائع المبحوث عنها وما يتخرصون به عن نياتهم ومقاصدهم في مآتيهم وافعالهم ولولا ذلك لم يكن للكتاب ميزة خاصة بموضوعه بعد ان كُتِب فيه ما كتب قديماً وحديثاً .

لا شأن لي ولا لمجلة المجمع العلمي فيما بُثّ هنالك من الآراء والمباحث التي اثارت بعض الحفائظ فانا أقتصر الآن على ما أراه جديراً بالنقد من أسلوب الانشاء ونمط السبك مع الإلماع الى ما عثرت عليه من الذهول اللغوي ملبياً طلب مؤلفه الصريح الوارد في حاشية النسخة المهداة ومتوخياً افادة القراء فأقول :

جاء في مستهل الكتاب قوله — من أحق بتاريخ أمية من أبناء أمية ؟ ولم اعلم مراد المؤلف من هذه الجملة فان كان يريد — كما يتبادر الى الذهن — اننا نحن السوريين ابناء أمية فهو قول ننكره عليه وينكره معنا كل ذي إلمام بالتاريخ فان السوريين خليط

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

من عناصر وأجناس عديدة تغلبت فيها اكثرية عربية لا ترجع الى نسب خاص او أسرة بعينها من آل يعرب بن قحطان . ثم جاء بعد ذلك قوله — من أحق بتاريخ معاوية والوليد من أبناء معاوية والوليد ؟؟ وأردف الجملتين بثالثة وهي — فاقبلوا يا ابناء سورية الباسلة المتحدة المستقلة هذه الثمرة الصغيرة (انيس) — وفي كلتا الجملتين من البُعد عن الحقيقة والمخالفة للواقع ما لا يحتاج الى بيان .

وأغرب ما في الامر ان المؤلف ترك بقية الصفحة المعلق عليها تلك الفقرات الثلاث بياضاً استلفاتاً للانظار وايذاناً بان في طياتها حكمة مستترة او سراً خطيراً حتم على القراء كشفه والإحاطة بمراميه ولم أستطع ان افهم المراد من ذلك كله .

اما نمط الكتاب من حيث الجَدْل والسبك وطرز الإنشاء فاليك انموذجات منه تدل عليه : جاء في وصف معاوية (ص ٣) « يعترف اعداؤه السياسيون بقوة شخصيته التي تسحر النفوس فتجتذبها غير انهم يتألمون منه لانه جعل من الخلافة ملكاً ضخماً فخماً » وجاء في الصفحة الخامسة « ولعب كل من ابي الاعور السلمي و بسر بن ارطاة دوراً مهماً في فتح مصر » . وقال في الصفحة عينها « و بسر هذا رجل ذو شخصية غريبة الى ان يقول — وهو من أولئك البدو بين [1] الذين لا تخلل الرحمة قلوبهم » وجاء في الصفحة السادسة عند البحث عن معركة صفين « وهيئا [2] الكتاب اي البروتوكول المبدئي لمؤتمر اذرح » . وقال في الصفحة عينها عن اليمنيين انهم « اعظم جند اهل الشام وكانوا سيوف معاوية البتارة حين يحنه » . وقال المؤلف في محل آخر من تلك الصفحة ان الائتلاف مع القبائل العربية المتوطنة سورية منذ اجيال دعامة كبيرة في سبيل دعوته [3] .

وقال في الصفحة السابعة عن اليمنيين والقيسيين « ان امتزاجهم مع سكان سورية رقت عقليتهم ونمت افكارهم نوعاً » وهم « يرون في سورية وطناً ثانياً وقد كانوا ذوي ليونة ومرانة قابلين لكل تجدد » . وقال عن اذرح (ص ١٩) « انها غنية

(١) يريد انه من البَدْو (خلاف الحضر) . (٢) الضمير هنا عائد الى ابي الاعور وحبيب بن مسيلمة . (٣) الضمير هنا يعود الى معاوية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بمياهها في تلك البقاع الجرداء وورثة بطرا في اجتذابها القوافل حين مرورها الى شرقي الأردن » . وجاء في (ص ٢١) « ان علياً لم يدفع مندوبيه لحضور المؤتمر ويحرّج عليهم » . وفي (ص ٢٣) « ولو تسنى له[1] ان يخدع اباموسى لآثار الرأي العام عليه ولحوّل الافكار نحو علي سيما [2] وقد شهد المعتزلة المحايدون والاربعمائة مندوب من العراق قرارات المؤتمر » . وفي (ص ٢٤) « والغلط الفادح الذي ارتكبه الاشعري هو انه سوّى بين علي امير المؤمنين ومعاوية حاكم الشام في المنزلة كما نص بذلك (بروتوكول[3] صفين) » . وفي (ص ٢٥) « الرجل[4] الذي بدأ يرى فيه العالم الاسلامي الشخصية الكبيرة القادرة على توطيد السلام » . وفي (ص ٢٩) « عزم معاوية عزماً اكيداً طيلة ايامه على استئصال شأفة المعارضين للمركزية الأموية » وفي (ص ٣٦) « فاعتلى سليمان مرةً منصة الخطابة وافتتح احدى جلساتهم » . وفي (ص ٤٢) « الاشتراك في التدبير على المركزية الاموية وبعبارة ثانية فقد خولته[5] سلطة الحاكم المطلق او الديكتاتور في العراق » . وفي (ص ٤٦) « الجماعات التي ذرفت أعزّ دموعها » . وهو نمط لا يرضى عنه بلغاء العصر الذين يرون فرضاً واجباً الاحتفاظ بالخطط التي وضعها أمثال ابن المقفع والجاحظ وعمرو بن مسعدة والصاحب بن عباد وابن الأثير وابن خلدون وغيرهم من أئمة الإنشاء وقهارمة الكتبة فانها امانة تسلمها الناطقون بالضاد من اولئك السلف ان تخلوا عنها أضاعوا لغتهم ورونق جمالها لا سيما ان هذا النسق المفرنج او البرازيلي يكاد يكون الى المالطية أقرب ولست ادري كيف يجوز تأليف كتاب قيم باحث عن الدولة الاموية الصريحة العروبة بمثل هذه التراكيب الركيكة والنسج الواهن المحوك على منوال ليس بافرنجي صريح ولا بعربي فصيح .

ولقد ورد في الكتاب الفاظ لم يستعملها احد من جهابذة الانشاء مع عدم الاضطرار اليها في المواضع التي أُدمجت فيها لا سيما والبحث قائم عن دولة عربية بحتة قامت في صدر الاسلام

(١) الضمير هنا يعود الى عمرو بن العاص . (٢) صوابها (لا سيما) كما لا يخفى . (٣) يريد عهدة صفين او وثيقة صفين . (٤) يريد بالرجل هنا معاوية . (٥) الضمير يعود الى عبد الله بن زياد .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اي في عهد تطال العرب الى استعمار الغرب حيثما لم تكن تلك الالفاظ معروفة حتى في الغرب كالديكتانور[١] والبروتوكول[٢] مثلاً وقد تكررت هذه في جملة مواضع من الكتاب .

ثم ورد (رضخت) بمعنى انقادت (ص٢٩) والتبرم من الخضوع بدلاً من التنصل او التملص كما يقتضيه المقام (ص٣٤) ولنص التصريحات بدلاً من اتضح صريحاً او ظهر من التصريح (٣٥) الى غير ذلك مما هو مستفيض في الكتاب . كان هنالك أغلاطاً مطبعية جمة أصلح اكثرها في جدول خاص وبقي منها شيء لا يغرب صوابه عن المتأملين .

وفي الصفحة (٢٠) رواية عن ذي الرمة بيتان في مدح بلال بن ابي بردة وردا هكذا :

(ابوك تلاقى[٣] الدين والدنيا[٤] بعدما ... نأوا وبيت الدين منقطع الكسر)

(فشدّ اصار الدين ايام اذرح ... وردّ حروباً قد لقمن الى عقر)

وفي البيتين اختلال ظاهر .

ثم ورد رواية عن كعب بن جُعيل في مدح ابي موسى الاشعري :

(كأن ابا موسى عشيةَ اذرح ... يضيف بلقمان الحكيم ويواربُهْ)

وفي العجز اختلالٌ عروضيٌّ يزول بحذف العطف من (ويواربُهْ) ولعله الصحيح واثبات الواو سهوٌ مطبعي .

والذي تجلى لي من تضاعيف الكتاب ان الكاتب ذكي الفؤاد نزوع الى الحرية واستقلال الفكر مشربٌ بحب العلم شديد العناية بقوميته واحياء ما تركه لها السلف من مجد أثيل وتراث نبيل . وعندي انه لو تريث في معالجة التأليف الى ان تستحكم فيه ملكة الانشاء العربي كما يجب ان تكون وتزداد خبرته نضجاً واختباراً ومادة علمه فيضاً ونقاءً لاستطاع ان يدخل البيوت من أبوابها ويملأ من محيطه فراغاً يعود عليه بالمجد التالد والذكر الخالد . ولعله فاعلٌ بعد اليوم ان شاء الله .

عضو المجمع العلمي العربي

سليم عنحوري

---

(١) يريد به عبيدالله بن زياد عامل البصرة والكوفة . (٢) قد اطلقها المؤلف على معاهدة صفين بين الخليفتين علي ومعاوية انظر الصفحة (٤٢) . (٣) صحتها (تلافى) . (٤) ربما كان الاصل (الامن) لا (الدنيا) ليستقيم الوزن .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net